مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العـدد: 2 (2022)، ص: 532- 546

ظاهرة جنوح الأحداث بين سمات الشخصية ومظاهر الانحراف

The phenomenon of juvenile delinquency between personality traits and manifestations of delinquency

د/ بلخير رشيد[1]
[1]جامعة تيزي وزو، الجزائر
rachid_belkheir2016@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/15 تاريخ القبول: 2022/03/17 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

يعتبر جنوح الأحداث من بين السلوكيات الشاذة التي تهدد سلامة الفرد والأسرة والمجتمع، ولقد انتشرت هذه الظاهرة في مختلف دول العالم، وقد شهدت الجزائر بدورها تفاقم هذه الظاهرة في وسط أبناءها، وقد بات من الضروري دراستها دراسة عميقة، وفهم حيثياتها وأسبابها من أجل مجابهتها والحد من استفحالها. فجاء هذا المقال ليبحث في ماهية جنوح الأحداث من حيث تعريفه، وأهم النظريات المفسرة له، كذلك تم التطرق إلى العوامل المؤدية إليه، وأنماطه، مبرزا سمات شخصية الجانح ومظاهر الانحراف لديه، ومحددا لمعايير تشخيص الجنوح ومعدل انتشاره في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: الجنوح، الحدث، جنوح الأحداث، سمات الشخصية، مظاهر الإنحراف.

Abstract :

Juvenile delinquency is one of the abnormal behaviors that threaten the security of the individual, the family and society, and this phenomenon has spread to different countries of the world, and Algeria has in turn witnessed the exacerbation of this phenomenon in his sons, and it became necessary to study it in depth, to understand its causes in order to face it and reduce it.

This article has therefore come to examine what juvenile delinquency is in terms of definition, and the most important theories which explain it, as well as the factors which lead to it, and its types, by highlighting the personality traits of the delinquent and its different manifestations, and by determining the criteria for diagnosing delinquency and its prevalence in Algeria.

Mots clés: délinquance, délinquance juvénile, traits de caractère.

مقدمة:

تعتبر ظاهرة جنوح الأحداث ظاهرة عالمية، منتشرة في الدول المتخلفة والمتقدمة على حدّ سواء، وقد سببت هذه الظاهرة قلق عام ومتزايد خاصة في الآونة الأخيرة، وذلك بانتشارها السريع وتفاقمها خاصة في الأقطار الصناعية التي توجد بها المدن الكبرى. فقد أُهتم بدراسة هذه الظاهرة في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية، كون استفحالها يهدد المجتمعات البشرية في استقرارها وتنميتها، ويهدد الأمن الإنساني بصفة عامة، ومسؤولية مواجهتها

لا يقع فقط على دوائر الأمن، بل يلعب الباحثون في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية دورا بارزا في تشخيصها، التوعية والتحسيس حولها، وعلاجها.

تعريف جنوح الأحداث:

سنتطرق في هذا العنصر إلى تقديم تعريف الحدث، الجنوح، الحدث الجانح، ولكي تكون هذه التعاريف شاملة، ارتأينا إلى دراستها من عدّة زوايا، من الناحية اللّغوية الاصطلاحية...

1-1- تعريف الحدث:

يشير مصطلح الحدث في معجم "لسان العرب" إلى حديث السن أو صغير السن **(ابن منصور أبو الفضل جمال الدين، بدون سنة، ص429)**.

كما يشير Le Dictionnaire Encyclopédique إلى أن كلمة Juvénile لها علاقة بمرحلة الصبا أوالشباب، وهي المرحلة من الحياة التي تقع بين الطفولة والبلوغ. **(Philippe Auzou et Autres, 2005, P892)**

ومن الناحية الزمنية يمتد مصطلح الحدث من (6 إلى 10) سنوات كحد أدنى، إلى عمر يتراوح ما بين (16 إلى 21) سنة كحد أقصى وهذا باختلاف القوانين **(عبد الخالق غلام وآخرون، 1962، ص30)**.

2-1- تعريف الجنوح:

يعرف المعجم الوسيط مصطلح الجنوح على أنه الإثم والجرم والميل إلى الإثم **(ناصر ميزاب، 2007، ص03)**.

ويشير Le Dictionnaire Encyclopédique إلى أن الجنوح La délinquance هو مجموعة المخالفات أو الجرائم التي تم اقترافها في مجال اجتماعي محدد. **(Philippe Auzou Et autres, 2005, P434)**

وتعرفه موسوعة علم النفس على أنه مجموعة من الأفعال العدوانية والضارة المخالفة للقانون، ومتعددة الأبعاد التي تمس القواعد الاجتماعية وموانعها، والتي يمكن أن تظهر على شكل تجاوزات صغيرة، أو تتعدى ذلك إلى حّد الدخول في اضطراب نفسي سلوكي كالاضطراب السيكوباتي أو ما يسمى باضطراب الحالات الحدية **(Doran et Parot, 1991 , P190)**.

واستعمل مصطلح الجنوح لأول مرة عام (1989) عندما فتحت أول محكمة للأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر الفرد جانحا إذا توفرت عدة شروط حددها القانون، ويدمج فيها السن، الجنس، وارتكاب أنواع الجنوح **(جويدة أولبسير، 1995، ص09)**.

3-1- تعريف الحدث الجانح:

أشار "عبد الرحمان العيسوي" في مؤلفه "سيكولوجية الجنوح" إلى التعريف اللغوي للحدث الجانح والذي يعرف على أنه الفشل في أداء الواجب، أوأنه ارتكاب الخطأ، أو العمل السيئ ، أو أنه حرق للقانون عند الأطفال الصغار **(عبد الرحمان العيسوي، 1984، ص23)**.

وحدده المجلس الأعلى للشباب والطفولة في المجتمع الجزائري على أنه عدم التكيف الاجتماعي، وهو عبارة عن حالة يوجد فيها الأطفال المراهقون في معارضة مع قوانين مجتمعهم، كما أنّ مفهوم جنوح الأحداث في المجتمع الجزائري غالبا ما يكون مرتبطا بالظروف الاجتماعية، والاقتصادية في مظاهره، وبالظروف النفسية والاجتماعية في عوامله **(زينب حميدة بقادة، 1990، ص12)**.

فجناح الأحداث يطلق على الأخطاء التي يرتكبها الأحداث ضد القانون أو ضد النظام الاجتماعي السائد، غالبا ما يتراوح سنهم تحت (16 أو 18) سنة **(عبد الرحمان العيسوي، 1984، ص 23)**.

ومن الناحية النفسية يعتبر الحدث الجانح سلوكا غير سوي يسلكه الفرد اتجاه نفسه أو اتجاه الآخرين من أفراد المجتمع وله طابع الخطورة والاستمرار والتكرار، وليس رد فعل مؤقت لمشكلة من المشكلات التي تواجه الحدث في حياته، بل نتيجة لاختلاف في نمو مكوناته الشخصية **(ناصر ميزاب، 2007، ص05)**، فهو مرض يجب معالجته، ويتطلب ذلك إعادة تكيف الجانح بوضع تصميم ملائم بإعطاء أهمية للأسرة لأن التربية مسؤولية الوالدين. ويعود عدم تكيف الجانح لانعدام الأمن، و العوز العاطفي والمادي مما يجعله غير قادر على كبت توتراته، فالجنوح إذا قريب من العصاب بفارق واحد أن في العصاب الاضطراب يتواجد داخل الفرد في حين أنّ الجنوح هو خارجي موجه نحو المجتمع .**(Alain Rideau, 1974, P83)**

ومن الناحية الاجتماعية يعتبر "روبرت ميرتون" (Robert- Merton) السلوك الجانح والإنحرافي بأنه لا ينشأ نتيجة دوافع وبواعث فردية للخروج عن قواعد الضغط الاجتماعي، ولكنه يتشكل نتيجة تعاون كل من النظام الاجتماعي، وثقافة المجتمع على نشأته وتطوره **(زينب حميدة بقادة، 1990، ص11)**.

تعرّف موسوعة علم النفس جنوح الأحداث من الناحية القانونية على أنّه مجموعة من الأفعال والمخالفات التي يقوم بها الحدث، وتعرضه للوقوف أمام قاضي الأحداث ويصدر في حقه حكما قضائيا **(Sillamy, 1999, P76)**.

أماّ القانون الجزائري فقد عرّف الحدث الجانح بالفرد القاصر الذي وضع بمؤسسة من مؤسسات إعادة التربية بعد امتثاله أما قاضي الأحداث لارتكابه أنواع من الجنح يعتبرها هذا القانون منهكة له وللقيم السائدة في المجتمع مثل الهروب من المنزل، التشرد السرقة، والعدوان المادي والجسدي **(جويدة أولبسير، 1995، ص15)**.

وتلخيصا لما قلناه نفهم أن الحدث الجانح أو جنوح الأحداث هو ذلك السلوك الغير السوي الذي يصدر من الأحداث، ويؤدي إلى ارتكاب مخالفات أو إلحاق أضرار تمس القواعد الاجتماعية وموانعها، وهو السلوك الذي يعاقب عليه القانون.

2- النظريات المفسرة للجنوح:

إن ظاهرة الجنوح، ليست بظاهرة جديدة على البشرية بل أنّ جذورها تضرب في القدم، إلاّ أنّ معدل انتشارها في العصر الحديث بات أمرا مخيفا، لذلك تطرق عدّة باحثين، وباختلاف توجهاتهم النظرية لدراسة هذه الظاهرة مما أثرى الجانب النظري في هذا المجال وساهم في تعدد النظريات المفسرة لهذه الظاهرة.

2-1- النظرية البيولوجية:

يعتبر "سيزار لامبروزو (Lombroso) أوّل من بحث في العوامل البيولوجية للسلوك الإجرامي على أساس علمي وذلك في كتابه "الرجل المجرم" (l'homme Criminel) وتتخلص نظريته هذه في أن المجرم يتميز عن غيره بصفات خاصة عضوية ونفسية. فمن الناحية العضوية هناك ملامح خاصة تبدو خاصة في كثافة الشعر في الرأس والجسم، عدم انتظام الجمجمة، ضيق في الجبهة، ضخامة في الفكين، طول الأذنين أو قصرهما، عدم انتظام الأسنان...الخ.

ومن الناحية النفسية فقد استخلص مجموعة من الصفات منها، ضعف الإحساس بالألم، قسوة قلوبهم، عدم إحساسهم بالحياء والخجل...**(زينب حميدة بقادة، 1990، ص32).**

يعد العالم "أنريكو فيري" (Enrico Ferri) (1856-1929) من العلماء البارزين في المدرسة البيولوجية لأنه دافع عن محددات النظرية البيولوجية، وأوّل من سطر عدة عوامل تؤدي إلى ظاهرة الإجرام كالعوامل الاجتماعية، الطبيعية، الأنثربولوجية **(محمد حسن غانم، 2004، ص79)**.

وذهب العالم "داجدال" في نقس المنحى،ففي دراسته التي أقامها على عائلة "جوك" الأمريكية، عام (1877)، درس تاريخ هذه العائلة لمدة 75 سنة، حيث فحص تاريخ حياة (1200) شخص من المنحدرين منها، واتضح له أن هذه العائلة خرج منها (280) متسول، (207) مجرم منهم (60) لص و(70) قاتل، (50) عاهرة، (140) مصاب بأمراض تناسلية نتيجة العلاقات الجنسية الغير الشرعية، هذا فضلا عن (30) طفل غير شرعي **(محمد حسن غانم، 2004، ص79)**.

ونجد أيضا في النظرية البيولوجية اتجاه الأنماط الجسمية والفيزيقية التي تؤكد بأن الخصائص الجسمية للافراد تؤثر، وتنعكس على سلوكهم إما سلبا أو إيجابا، فإذا كان تكوين الجسم ناقص قابله ذلك نقص وامتياز سلوكي عقلي **(محمد حسن غانم، 2004، ص86)**.

2-2- نظرية التحليل النفسي:

حاولت هذه النظرية فهم دينامية الحياة النفسية بالكشف عن الدوافع الحقيقية المحركة للسلوك الإنساني، فهي ترى أن كل ظاهرة سلوكية تنشأ من أسباب ومقدمات حدثت في حياة الفرد السابقة.

فسّر "فرويد" (Freud) السلوك الجانح بتلك الصراعات التي تحدث بين القوى الشعورية من جانب، والقوى اللاشعورية من جانب آخر، وعجز الأنا من تكييف الميول الفطرية والنزاعات الغريزية لدى الفرد مع متطلبات وتقاليد الحياة الاجتماعية، حيث تنطلق الشهوات والميول الغريزية من قيودها لتلتمس الإشباع عن طريق السلوك الإجرامي **(زينب حميدة بقادة، 1990، ص33)**.

كما يرى "فرويد" مع بعض المحللين الذين عالجوا بعض حالات الجنوح أن وراء هذا القناع من القسوة المفرطة والأنانية وعدم مراعاة الآخرين، ميولا دفينة تعصف بالجانح وتدفع به احيانا إلى تحقير ذاته وتحطيمها، كما تدفع به أحيانا إلى القيام بأفعال تظهر جميع الدلائل على أن المحرك الاساسي وراءها هو البحث عن العقاب. ويأتي الشعور بالذنب حسبه عن نمو أنا أعلى مفرط، لذلك فالجانح يبحث عن العقاب لكي يخفف من شعوره بالذنب **(جويدة أولبسير، 2005، ص64)**.

وهناك من ذهب لوضع علاقة بين الجنوح وضعف الأنا الأعلى، حيث أصبحت الفرضية القائلة بأن الجنوح راجع إلى ضعف "الأنا الأعلى" موضع دراسة، ومن أهمها دراسات (Kate Friedland) (1947) حيث ركز على غياب مشاعر الذنب وظهور ردود أفعال مضادة للمجتمع، وأضاف مؤكدا نقص استقلالية الأنا الاعلى هو من العوامل المكونة للسّمات المضادة اجتماعيا، إلى جانب عدم قدرة الجانح في مواجهة الرغبات وتكوين صورة طبيعية عن نتائج أفعاله **(Sonia Harrati, 2006, P50)**.

2-3- النظرية السلوكية:

تدور هذه النظرية على التعلم، فالاضطرابات النفسية هي عادات سيئة اكتسابها الفرد عن طريق مبادئ التعلم، ومتى تكونت هذه العادات فإنها تنزع إلى التكرار والثبات وفقا لمبدأ التدعيم لأنها تعمل على خفض التوتر، كما أنها تميل إلى التعليم، أي تثيرها مواقف أو مثيرات مشابهة للموقف الأول **(جويدة أولبسير، 1995، ص80)**، بمعنى أنّ السلوك الشاذ هو تعلم خاطئ حدث في محيط اجتماعي محدد، فعلى المعالج أن يعدل في المحيط لكي يتغير السلوك **(أجراد محمد، 1992، ص57)**.

ذهب "واطسن" في تفسيره للسلوك إلى العوامل البيئية المكتسبة ويقول في هذا الصدد «أعطوني خمسة أطفال أجعل من الأول طبيب ومن الثاني محامي، ومن الثالث مجرما...»، فالأمر كله يعود إلى المثيرات الخارجية البيئية، والسلوك ليس إلا رد فعل عن مثيرات متنوعة يتلقاها الشخص من المحيط الخارجي.

يقول "سوترلاند" (Sutherland) في هذا الميدان بأن السلوك الجانح متعلم وهو وليد المثيرات الخارجية، تعلمها الشخص من الجماعة الجانحة التي ينتمي إليها، أماّ "دولارد" (Dollard) (1939) فيرجع الجنوح إلى الإحباط حيث يفترض وجود علاقة متينة بين السلوك الجانح والإحباطات النفسية الاجتماعية التي يتعرض لها في حياته اليومية، وأن السلوكات العدوانية سوف تصبح سلوكات متعلمة يتصرف بها الفرد بدون وجود احباط، و هذه الحالة حسب "باندورا" 1973 (bandura) تكون نتيجة للتعلم الاجتماعي الذي يحدث عن طريق ملاحظة النموذج والتجربة **(أجراد محمد، 1992، ص90)**

2-4- النظرية المعرفية:

جاءت النظرية المعرفية كرد فعل على المدرسة السلوكية، هذا ما أدى بها إلى الوقوع في جدل منهجي ونظري مع المعرفيين الذين لا يؤمنون بالعلاقة الميكانيكية المباشرة بين السلوك والمحيط الخارجي، حيث يذهبون إلى أبعد من ذلك ويعتبرون أن السلوك تؤثر فيه عوامل أخرى مثل طريقة التفكير، المعتقدات والتوقعات التي تؤثر على السلوك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فإذا كان لدى الشخص على سبيل المثال معتقدات سلبية على نفسه فكثيرا ما تكون سلوكاته سلبية، والعكس صحيح عندما تكون لديه معتقدات إيجابية، حيث يؤدي ذلك إلى القيام بسلوكات فعّالة وإيجابية **(أجراد محمد، 1992، ص57)**.

فحسب "باندورا" (Bandura)، أغلبية السلوكات الإنسانية هي سلوكات متعلمة بالملاحظة عن طريق ما يسمى بالنمذجة، فمن خلال ملاحظة الغير يكوّن الفرد فكرة عن طريق تكوين سلوكات أخرى.

فالسلوك الجانح بصفة خاصة هو تعلم خاطئ، وهو نشاط انفعالي يعبر عن مؤثرات غير سارة تعرض لها الفرد خلال الخبرات السابقة، ويعود ذلك إلى خلل في النمذجة الاجتماعية ما دام الجنوح اضطراب سلوكي، ويظهر ذلك في السلوكات العدوانية اتجاه الممتلكات أو الذات، فهو سلوك متعلم من البيئة التي يعيش فيها الطفل **(سعاد غزيرو شرناعي، 2001، 27-29)**.

2-5- النظرية الاجتماعية:

إن الجنوح والانحراف في نظر علماء الاجتماع هو ظاهرة اجتماعية تنشأ عن مقومات تنبعث عن تفاعل اجتماعي متواصل بين الفرد من جهة، وعناصر بيئية اجتماعية من جهة أخرى، وهذه البيئة التي تشتمل على كافة النظم والمؤسسات الاجتماعية هي التي تشرف على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل **(زينب حميدة بقادة، 1990، ص35)**.

وتؤكد دراسات جزائرية عديدة على دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في ظهور السلوك الجانح، منها دراسات "خالد نور الدين" التي ركزت على العوامل الثقافية الاجتماعية في ظهور الجنوح، فبينت أن جنوح الأحداث يتأتى أساسا من عوامل التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي مست المجتمع في نواته الأساسية المتمثلة في الأسرة، وقادت إلى تعارض عميق بين قيم الآباء والأبناء، الأمر الذي أدى إلى تعرض الأطفال إلى النبذ والإهمال من طرف الأسرة وهذا ما جعلهم يسعون إلى جماعات مرجعية بديلة تتماشى والقيم التي يتمسكون بها من ناحية أخرى.

إذن تؤكد هذه الدراسات على دور الصراع الذي ينتج عن تعارض القيم، والذي يقود إلى اضطرابات نفسية عديدة مثل اضطرابات الهوية، وظهور علامات كثيرة تعبر عن التقدير الواطئ للذات ونقص الثقة في النفس **(جويدة أولبسير، 1995، ص77)**.

رغم اختلاف النظريات السابقة الذكر في طريقة تناولها لجنوح الأحداث إلا أنها تتداخل في تفاعل وتكامل، وهذا التداخل أدى إلى الفهم المعمّق، والتحليل الدقيق لهذه الظاهرة وبالتالي تشخيصها بطريقة أكثر موضوعية.

3- العوامل المؤدية إلى الجنوح:

العوامل التي تؤدي إلى الجنوح كثيرة ومتعددة، فمنها ما يعود إلى عوامل بيولوجية نفسية، ومنها ما يعود إلى عوامل أسرية، اجتماعية، اقتصادية...الخ.

3-1- العوامل الداخلية:

وتتمثل هذه العوامل في العوامل البيولوجية، الجسمية، والنفسية.

3-1-1- العوامل البيولوجية والجسمية:

بينت الدراسات الحديثة أن هناك ارتباط قوي بين السلوكات الجانحة لدى المراهقين، ونمط أجسامهم المشوهة الغير العادية والظاهرة خاصة، كونها تسبب لهم إحباطات دائمة ومستمرة، الأمر الذي يدفع بهم إلى ممارسة بعض السلوكات العدوانية كردود أفعال تعويضية، نفس التأثير الذي تمارسه الاضطرابات الهرمونية والعصبية **(Doyon et Bussièrs, 1999, P23)**

فقد أظهر العالم "لامبروزو" (Lombroso) في نظريته الحتمية البيولوجية أهمية العوامل العضوية في القيام بالسلوك الإنحرافي، وقد نسب الباحث "لوكاس" (Lucas) بعد دراسته للطبيعة الإجرامية للسلوك الإجرامي والإنحرافي إلى الوراثة.

كما أخذ البيولوجيون دراسة هذا الجانب بدقة، حيث توصل "لونا"(Lena) (1979) إلى وضع علاقة ارتباطية بين نقص مادة السيروتونين وزيادة السلوك العدواني **(محمد أجراد، 1992، ص53)**.

3-1-2- العوامل النفسية:

من بين العوامل النفسية التي تؤدي إلى دخول الحدث في الجنوح نجد:

- عدم نضج الاستقرار النفسي، مما يسهل خضوع الحدث للمؤثرات المحيطة به.
- عدم وجود توازن بين الانفعالات والأحاسيس، كإحساس الأطفال بكره الوالدين قد يخلف لديه اضطرابات نفسية تقوده إلى عدم التكيف مع المحيط، ويسعى إلى الخروج من هذا الشعور ولو على حساب الأخلاق، والقيم.
- التذبذب في معالجة الجانح، قد يعاني والد الجانح من تناقض قي سياسته التربوية نحو ابنه ويحتار الابن أي السلوك يختار، ويعجز عن إدراك الفرق بين السلوك السوي وغير السوي، فيخطئ ويلجأ الأب لعقابه عقابا شديدا فيتهمه الابن بالوحشية، وقد يكرهه والده وجميع الراشدين، فيلجأ للانتقام منهم عن طريق السلوك الجانح.
- التناقض بين الرغبات ومحاولة إشباعها وما يرفضه المجتمع يوّلد لدى الطفل القلق والحيرة، مما يؤدي به إلى اتخاذ سلوك منحرف، فهو لديه طموحات يريد تحقيقها لكن مرفوضة اجتماعيا، فيلجأ إلى ارتكاب مخالفات وجنح، كما تساهم مشاعر القلق والإحباط والتوتر لدى الطفل في إيقاظ عدوانية مكبوتة تؤدي إلى السلوك الانحرافي.
- شعور الطفل بالإحباط والفشل نتيجة عدم قدرته على تحقيق طموحات والديه وتقديرهم المستمر، ويجعله ذلك يضيق ذرعا، ومن ثم يندفع إلى الاجتماع في منعطفات الشوارع مع المنحرفين في فئة متماسكة ترد له إحساسه بقيمته، وترفع من تقديره لذاته فيتجه نحو الانحراف **(حنان عبد الحميد العناني، 2000، ص165)**.

3-2- العوامل الخارجية:

وتتمثل العوامل الخارجية في المحيط الاجتماعي الذي يبدأ بالأسرة، جماعة الرفاق المدرسة، الإعلام، ضف إلى ذلك العوامل الاجتماعية والاقتصادية...الخ.

3-2-1- الأسرة:

أشارت دراسات عديدة على أهمية العوامل الأسرية في ظهور السلوك الجانح، تلك التي تتعلق بالنماذج السيئة التي يتلقاها المراهقون من أوليائهم، كالقسوة والعقاب البدني مع درجة كبيرة من العداء نحوهم، كما تتصف هذه الأساليب التربوية بعدم الثبات في المعاملة، هذا ما يجعل المراهق يكوّن نظرة سلبية عن نفسه مسببا له مشكلات سوء التوافق النفسي والاجتماعي التي تظهر مستقبلا على شكل سلوكات منحرفة، ومعادية للمجتمع **(Doyon et Bussièrs, 1999, P21)**.

كما توصلت أبحاث أخرى إلى أن فقدان الوالدين أو انعدام أحدهما أو عيش الطفل في عائلة غير حقيقية، وانعدام الاتصال العائلي والاجتماعي بالنسبة يعتبر من بين الأساليب الرئيسية التي لا حث إلى القيام بسلوكات عدائية لا اجتماعية، تدخله فيما يسمى بالسلوك الجانح، لن اجتماع هذه العوامل أو أحدهما يكفي لاضطراب نمو الهوية الفردية وبالتالي التقمصات الاجتماعية هي التي تلعب دورا كبيرا في تكيفه مع متطلبات المحيط الخارجي **(محمد أجراد، 1992، ص61)**.

3-2-2- الرفاق:

يتأثر الطفل بالأصدقاء أثناء محاكاته بهم خارج البيت، في الشارع أو المدرسة. وعندما يتصل الأحداث الذين لم تتكون شخصياتهم بعد الفئة المجرمين قد يوصلهم ذلك إلى الجريمة. فرفاق السوء دور في جذب الأطفال أو الأحداث إلى الانحراف إذا تكررت لقاءاتهم، ووجد نوع من الاستجابة للانضمام إليهم**(سامية حسن الساعاتي، 2005، ص150)**.

أثبتت الدراسة التي قام بها "بيرت" أن 8٪ من الأحداث المنحرفين ارتكبوا جنحهم نتيجة الاختلاط برفاق السوء، وقد يكون الدافع إلى الاختلاط في بادئ الأمر هو الرغبة في تكوين أصدقاء نظرا لأن الإنسان بطبيعته ميال إلى الاجتماع والمخالطة، وقد تكون ظروف البيئة السيئة دافع لكثير من الأحداث للارتماء في أحضان رفاق السوء مما يقدمه هؤلاء من مغريات تدعوا الحدث إلى الالتصاق بهم، ويزداد الأمر خطورة إذا كان التصاق هذا الحدث بشباب بالغين يكبرونه في السن لأن الطفل يجد في شخصية هذا البالغ المنحرف ما يدفعه إلى التمسك بصداقته ليحتمي به من أهله وأقرانه **(سامية حسن الساعاتي، 2005، ص150)**.

3-2-3- المدرسة:

تعتبر المدرسة كعائلة ثانية، كلما تلقى الطفل فيها صعوبات جعله ذلك غير قادر على التكيف فيها، مما يدفعه للترسب والهروب من الدراسة، مما يساهم في رفع نسبة السلوك الانحرافي.

ترك المدرسة عامل للمرور إلى عامل آخر هو الاكتشاف الاجتماعي من خلال أعمال إجرامية يكون قد تعلمها من الشارع. وهروب الطفل من المدرسة يعود إلى أسباب عديدة كعلاقته السيئة بالمدرس، وعدم تفهم المدرسة لقدرات وحاجات الطفل وغيره مما يسهل عملية الفشل الدراسي، واللجوء إلى الشارع، والهروب من المدرسة والإنحراف **(G. N. Fischer, 1991, P130-131)**.

3-2-4- الإعلام:

قد توجه وسائل الإعلام بكل أنواعها المراهق أو الحدث نحو الجريمة لما لها من تأثير في تغير أفكاره، وقيمه إن لم تقم على أسس سليمة من حيث الشكل والمضمون **(سامية حسن الساعاتي، 2005، ص152)**.

دلت نتائج الدراسات التي قام بها كل من "بلومر" و"هوزر" عن السينما وأثرها على الجنوح أن 49٪ من الجانحين الذين شملهم البحث قد استمد الرغبة في حمل السلاح من أفلام معينة، وأن 28٪ قد استمدوا من الأفلام الرغبة في تحقيق الكسب السهل.

وأظهرت دارسة أخرى أن السينما عامل انحراف لكثير من الشباب وخاصة الفتيات، وبالمثل فإن الصحافة والإذاعة والتلفاز قد يكون لها جانب سلبي إذا فقدت الرقابة وتولت السيطرة لأشخاص يبحثون عن الكسب السريع على حساب الفضيلة، والقيم والمثل الاجتماعية **(سامية حسن الساعاتي، 2005، ص152)**.

3-2-5- العوامل الاجتماعية والاقتصادية:

يرجع "بيكر" (Bicker) الاضطرابات النفسية عموما ومنها السلوك الجانح إلى عوامل ثقافية، ويستند في تفسيراته إلى اضطرابات الجماعة الثقافية أكثر من اضطراب الفرد ذاته، فهو يؤكد الارتباط المباشر بين الاضطراب ونمط الحياة العائلي والقوى الاجتماعية والاقتصادية العامة، لذلك اعتبرت الإحباطات الاجتماعية والاقتصادية، السبب الجوهري والرئيسي للاضطراب النفسي **(جويدة أولبسير، 1995، ص74)**.

ويعتقد فريق آخر من الباحثين أن السلوك الجانح يعود إلى تعارض القيم الأساسية والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، مع سلوك الفرد ومحاولاته المتعددة في إشباع حاجاته ودوافعه أو إلى عدم الاتساق بين السلوك والمعايير الاجتماعية **(جويدة أولبسير، 1995، ص75)**.

أمّا الباحث "دويون" (B. Doyon) و"مارتن" (B. Martin)، فقد أرجعا ظهور السلوك الجانح عند المراهقين إلى انخفاض المستوى الاقتصادي والذين ينتمون إلى بيئات فقيرة ومتدنية، حيث تكون الفرصة متاحة لدخولهم في عالم الجنوح. كما تؤثر الجماعة الجانحة التي ينتمي إليها المراهق على سلوكه وتصرفاته، مما يؤدي إلى الوقوع في هفوات سلوكية عديدة مضادة للمجتمع **(Doyon et Bussiérs, 1999, P21)**.

4- أنماط السلوك الجانح:

هناك عدة أنماط من السلوك الجانح، وسنتعرض في هذا الفصل للجانح العرضي الجانح العصبي، الجانح الذهاني والجناح الجماعي.

4-1- الجانح العرضي:

يتميز هذا النمط من السلوك عن باقي الأنماط الأخرى بأنه سلوكا مضادا للمجتمع قد يتضرر به المحيط أو الممتلكات وحتى الأشخاص، وذلك نتيجة لتعرض الجانح لإحباط شديد لم يتحمله ولم يتقبله، فهو يشير إلى أن الظروف والمواقف الطارئة هي التي تستحوذ عليه وذلك للتعبير عن احتجاجاته لما يحدث له ولما يتعرض له. **(Marie et all, 2001, p15)**

فالجانح الذي ينتمي إلى هذا النمط لا يتميز بحياة جانحة ظاهرة ولا يعاني من اضطرابات عقلية، أو نفسية، بالإضافة إلى أنه لا يجد صعوبة في تحقيق التوافق المطلوب، فهو شخص سوي ومتوافق، مع ذلك فإن قدرته على مواجهة بعض الضغوطات الشديدة الطارئة تضعف أحيان **(إجلال محمد السرى، 2003، ص174)**.

4-2- الجانح العصبي:

يحدث الجنوح في هذه الحالة نتيجة لصراع يتم التعبير عنه بسلوك منحرف، والجانح من هذا النوع كثيرا ما يكون من طبقة متميزة اجتماعيا، فلا يمكن أن يرجع انحرافه إلى الأسباب الاقتصادية المعروفة كالفقر مثلا، وهنا يمكن القول أن الجنوح يرجع لعوامل نفسية لاشعورية غالبا **(Marie et all, 2001, P15)**.

4-3- الجانح الذهاني:

أشار "مشال ليماي" (Michel Lemay) (1985) إلى هذا النمط على أنه يظهر عند أشخاص قد عانوا من حرمان عاطفي في الطفولة ولم يتمكنوا من تجاوزه ويتجلى ذلك في رفضهم للرجوع إلى ماضيهم، لأن ذلك يسبب لهم ألم نفسي حاد.

الجانح في هذا النمط يطور سلوكات جانحة، فيمر إلى الفعل كلما أحسن أن هناك قوة معارضة تحاول دون تحقيقه لنزواته ورغباته، وذلك دون التفكير في عواقب هذه السلوكات مستقبلا، كما أشار إلى مجموعة من المميزات أهمها:

- التمركز حول الذات.
- الحاجة إلى إشباع رغباته في أقرب فرصة ممكنة.
- صعوبة عقد علاقات اجتماعية مع الآخرين.
- صورة الذات السلبية.

تقلب المزاج يظهر في العنف المفاجئ والعدوانية .**(Marie et all, 2001, P14)**.

4-4- الجناح الجماعي:

لقد عرف ووصف (CIM 10) دليل التصنيف الإحصائي الدولي للأمراض والإصابات وأسباب الوفاة الجنوح الجماعي بمجموعة من الخصائص التي تظهر على شكل سلوك مضاد للمجتمع والعدوانية التي يمارسها المراهقون المنتمون إلى فئة عمرية متقاربة، تجمع بينهم علاقة صداقة متينة.

المراهق الذي ينتمي إلى هذه الجماعة يمكن له أيضا أن ينخرط في جماعة من المراهقين العاديين الذين لا يمارسون النشاطات الجانحة، فسلوك الجانح هنا لا يظهر إلا إذا كان مع جماعته الجانحة الأولى **(Tyrode, 2001, P90)**.

5- سمات شخصية الجانح ومظاهر الانحراف لديه:

سنتعرض في هذا الفصل إلى السمات والخصائص التي تميز شخصية الجانح عن غيره كما سنتطرق إلى مختلف مظاهر الانحراف لديه.

5-1- سمات وخصائص شخصية الجانح:

يمكن جمع السمات الإكلينيكية لشخصية الجانح حسب عوامل بناء الشخصية وهي:

- **الاضطراب الوجداني:** يعيش الجانح تناقضا وجدانيا ونقصا في مشاعر الحب نحو الآخرين، مما يجعله يتميز بسلوكات نرجسية، تظهر أكثر في تعاطي المخدرات أو الانغماس في الكحول.
- **التأخر المعرفي:** يظهر الجانح ذكاء متوسط، قليل الدافعية إلى تنمية مواهبه، قليل التعلم من الخبرة السابقة، لا يدرك الأمور بعمق، فاقد للاستبصار مما يجعله بدون خطة في الحياة.
- **العجز الاجتماعي:** ذلك أن ارتباطه بالآخرين ضعيف لأنه عاجز عن حب الآخرين.

- **النقص الأخلاقي:** فالجامح ناقص أخلاقيا، لقلة عدم كفاية الضمير، انعدام روح المسؤولية، الاعتقاد بأنّه محصون من القوانين **(ناصر ميزاب، 2005، ص95).**

2-5- مظاهر الانحراف لدى الحدث الجانح:

- **السرقة:** هي محاولة ملك شيء والاستحواذ عليه لإشباع حاجة من الحاجيات لا يتمكن من إشباعها داخل الأسرة أو اضطراره إلى الإنفاق على أصدقاء السوء، فلا يتمكن من الحصول على ذلك بطرق عادية ويمكن أن يكون دافع السرقة مباشرا وشعوريا، كما يمكن أن يكون غير مباشرا ولا شعوريا وقد تكون لإشباع حاجات جسمية أو اجتماعية **(جلال محمد السرى، 2003، ص176).**

- **الكذب:** يهدف عموما إلى تغطية ما ارتكبه الطفل من أخطاء أو مخالفات، وينشأ هذا الكذب بسبب تعود الطفل على الكذب واختلاق الحيل والمبررات، والأكاذيب بشكل مستمر من أجل تحقيق مصلحة شخصية، أو الحصول على النقود والأشياء ويأتي هذا الكذب بتدعيمه عندما يحصل الطفل على ما يريده نتيجة لكذبه، وكذا التناقض والاختلاف في معايير الأولياء حينما يعلمون أولادهم على الصدق، ويقوم هؤلاء الآباء بأفعال يقتبس منها الطفل أكاذيبهم ويتخذها كقيم له **(فوزي محمد جبل، 2000، ص418).**

- **التشرد:** المتشرد هو الفرد الذي يغيب عن المدرسة أو البيت دون سبب واضح ودون معرفة والديه أو من يرعاه، ومن المعروف أنّ حالات التشرد الخطيرة توجد بين الذكور بصفة خاصة، وبنسبة عالية في السنتين الأوليتين من حياتهم الدراسية أو يغيب المتشرد عن المدرسة أو البيت طوال اليوم، حيث يقوم بالتجوال دون هدف بمفرده، باللعب مع بعض المتشردين مثله **(إجلال محمد السرى، 2003، ص181).**

- **الهروب من المدرسة:** ترتفع نسبة الأحداث ما بين الفاشلين والمنقطعين عن الدراسة، ويرجع الانقطاع أو الهروب من المدرسة لبعض الأسباب منها:

- عدم توفر القدرات العقلية المناسبة لمتابعة الدراسة، مما يؤدي إلى هروبهم والالتقاء بأصدقاء السوء.
- طموح وضغط الآباء والإلحاح على أبنائهم بنوع من التعليم الذي لا يتناسب مع قدراتهم، فيؤدي إلى القلق والإحباط، وإلى الفشل والهروب من المدرسة.
- تأثر الطفل بالجو الأسري المضطرب **(فوزي محمد جبل، 2000، ص418).**

- **التمرد:** وتظهر مشكلة التمرد في مرحلة المراهقة، ففي هذه المرحلة ينتظر الفرد اعتراف الآخرين به وبوجوده ككيان مستقل، وشعوره بقيمته الذاتية وحب الآخرين، واحترامهم له، واعترافهم به وانتمائه للجماعة أمر يحرص عليه، وإذا حدث عكس ذلك، فإنّه يسبب له مشكلات نفسية وسوء في التوافق الاجتماعي والعدوانية والعناد والتمرد **(إجلال محمد السرى، 2003، ص176).**

6- معايير تشخيص الجنوح ومعدل انتشاره في الجزائر:

سنتطرق في هذا الفصل إلى تقديم معايير تشخيص الجنوح حسب الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية والعقلية (DSM IV) وبعدها نقدم الإحصائيات عن واقع ظاهرة الجنوح في الجزائر.

1-6- معايير تشخيص الجنوح:

يطلق الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية والعقلية (DSM IV) على ظاهرة الجنوح مصطلح اضطرابات التصرف.

وحتى نقول أن شخص ما مصابا بهذا الاضطراب يجب أن نتوفر فيه مجموعة من أشكال السلوك الجانح وهي كما يلي:

أ- أن تكون هناك مجموعة من التصرفات المتكررة والمستمرة تنتهك فيه الحقوق الأساسية للآخرين، أو المعايير والقواعد الاجتماعية الرئيسية. وتظهر بوجود ثلاثة أو أكثر من المظاهر التالية في اثني عشرة شهرا الأخيرة مع وجود محك واحد على الأقل في الشهور الستة الماضية.

- **العدوان على الناس والحيوانات:**

1. يهدد ويرعب الآخرين غالبا.
2. يختلق مشاجرات جسدية غالبا.
3. يستخدم سلاحا يمكن أن يسبب أذى بدنيا خطير مثل (السكين، الزجاجة المكسرة، المسدس...).
4. يقسو بدنيا على الآخرين.
5. يقسو بدنيا على الحيوانات.
6. يسرق مع مواجهة الضحية (السلب، الخطف، الابتزاز، الاغتصاب، السرقة بالإكراه).
7. إجبار شخص ما على ممارسة نشاط جنسي.

- **تحطيم الممتلكات:**

8. إشعال النار عن قصد لإحداث إصابات خطيرة.
9. تحطيم ممتلكات الآخرين عن قصد (باستخدام وسيلة أخرى ماعدا إشعال الحرائق).

- **الاحتيال أو السرقة:**

10. التسلل إلى المنازل أو البنايات أو السيارات الخاصة بشخص آخر.
11. الكذب للحصول على بضائع أو امتيازات، وتجنب دفع الديون والالتزامات.
12. سرقة أشياء قيّمة دون المواجهة مع الضحية (سرقة المحلات دون تحطيم الأبواب أو التزوير).

- **انتهاكات خطيرة للقوانين:**

13. التأخر في العودة إلى المنزل ليلا رغم تحذيرات الوالدين، ويبدأ ذلك قبل (13) سنة.
14. الهروب من البيت في الليل مرتين على الأقل بالرغم أنه يعيش مع والديه (أو مرة دون العودة إلى البيت لفترة طويلة).
15. الهروب عادة من المدرسة، ويبدأ ذلك قبل سن (13) سنة.

ب-هذا الاختلال في السلوك يسبب خللا إكلينيكيا جوهريا في الأداء الاجتماعي والأكاديمي أو المهني.

ج-إذا كان العمر (18) سنة أو أكثر فلا ينبغي أن تتواجد عند الشخص المصاب بهذا الاضطراب معايير ومحاكاة تشخيص اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع. **(DSM IV, 1998, P 107-108).**

1-6- معدل انتشار الجنوح في الجزائر:

هناك نماذج من الإحصائيات المتحصل عليها من مصادر مختلفة تؤكد بوضوح تطور عدد الموقوفين سواء كانوا جانحين أو غير جانحين، وازدياد توقيف أكثر في غضون سنوات (2001، 2002، 2003م)، كما ظهر تضخم فيما يخص نوع الجنحة التي ارتكبت خلال نفس السنوات، تمثلت في جنايات وجنح ضد الأشخاص وضد الأماكن كما ظهر متغير جديد لم يتم الإشارة إليه في الإحصائيات التي أقيمت قبل هذه السنوات، وهي الجنايات والجنح ضد الأسرة والآداب العامة، وهي ظاهرة غريبة بدأت تنتشر في المجتمع الجزائري، كما لوحظ مشاركة عدد من الجانحين في جرائم التهريب والمخدرات وهي كلها مظاهر جديدة على المجتمع الجزائري **(ناصر ميزاب، 2007، ص227).**

وأكدت السيدة "خيرة مسعودين" (Kheira Messaoudéne) المكلفة بالمكتب الوطني لحماية الطفولة والجانحين الأحداث في مديرية الشرطة القضائية أن (4220) جنحة مرتكبة من طرف (5836) قاصر، الذين سجلوا في الثلاثي الأول من (2008) (1009) جنحة مرتكبة من طرف (1432) قاصر في شهري جويلية، وأوت من نفس السنة. وأضافت السيدة بأن مجموع القاصرين المضبوطين في أعمال إجرامية في الثلاثي الأول (2008) عرف ارتفاع بالمقارنة بالوقت نفسه لعام (2007)، فالمجموع بذلك (7268) قاصر، منهم (238) فتاة وقفوا في أعمال إجرامية لنهاية أوت (2008)، وعمر الأطفال والمراهقين المضبوطين في هذه الأعمال الجنائية يتراوح ما بين (13 إلى 18) سنة.

وأضافت أن الجنوح يرتكز أكثر في المدن الكبرى، حيث الجزائر العاصمة تأتي على رأس القائمة أين سجلت أكثر الحالات (571) قاصر، متبوعة بوهران (330) قاصر، أمّا بسكرة تأتي على رأس ولايات الجنوب بـ (186) قاصر مضبوط، وتأتي السرقة على رأس قائمة الجنح بـ (600) قاصر، و(375) قاصر في أعمال العنف وأشارت في الأخير إلى ظاهرة بدأت بالانتشار وبشكل ملفت للانتباه وهي العنف على الأولياء، وسجلت فيه (36) حالة **(خيرة مسعودين، 2008)**

خاتمة:

لقد أشارت الإحصائيات إلى أن ظاهرة جنوح الأحداث أخذت تدق ناقوس الخطر في بلادنا، ولذلك كان من الضروري تضافر جميع الجهود وعلى كل المستويات من أجل الحدّ من انتشارها وذلك بتشجيع البحوث العلمية النفسية الاجتماعية في هذا المجال والاهتمام بمجال التوعية والتحسيس ومحاولة إيجاد الحلول للمشاكل التي يتخبط فيها الشباب...الخ.

توثيق الهوامش والمراجع:

أولا– توثيق الكتب

1. إجلال محمد السرى، **الأمراض النفسية والاجتماعية**، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
2. حنان عبد الحميد العناني، **الصحة النفسية**، عمان، دار الفكر، ط1، 2000.
3. سامية حسن الساعاتي، **علم الاجتماع الجنائي**، القاهرة، دار الفكر العربي، 2005.
4. عبد الخالق غلام وآخرون، **الصحة النفسية والتوافق النفسي**، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1962.
5. عبد الرحمان العيسوي، **سيكولوجية الجنوح، بيروت**، دار النهضة العربية، 1984.
6. فوزي محمد جبل، **الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية**، الإسكندرية، المكتبة الجامعية، 2000.
7. محمد حسن غانم، **علم الاجتماع الجنائي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004.
8. ناصر ميزاب، **سيكولوجية الجنوح**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 2005.
9. إجراد محمد، **الوظيفة المعرفية عند المراهقين الجانحين**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر، 1992.
10. جويدة أولبسير، **المهارات الاجتماعية وأثارها في ظهور السلوك الجانح**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر، 1994-1995.
11. زينب حميدة بقادة، **جنوح الأحداث وعلاقته بالوسط الأسري**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1989-1990.
12. سعاد عزيرو شرناعي، **الكفالة النفسية للحدث الجانح**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر، 2001-2002.
13. ناصر ميزاب، **المعاملة الوالدية للحدث الجانح وعلاقتها بمفهوم الذات (دراسة مقارنة)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة دولة في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر، 2006-2007.
14. Alain Rideau**, 400 Difficultés Et problèmes Chez L'enfant**, Marabot, service, Paris, 1974.
15. B. Doyon et all, **La criminalités et la délinquance**, Université Laval, 1999.
16. G.N Fisher, **Les processus du Social**, Paris, Dunod, 1991.
17. J. marie et all, Les nouvelles Délinquances des Jeunes, Paris, Dunod, 2001.
18. Manuel, **Diagnostic et Statistique des troubles Mentaux DSM IV,** Paris, Masson, version internationale, 1998.
19. Sonia Harrati, Délinquance et Violence, Paris, Armand Colin, 2006.

ثانيا – توثيق الدوريات والملتقيات

20- ابن المنصور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، بيروت، بدون سنة، ط.2

21.Philippe Auzou et autres, **Dictionnaire Encyclopédique**, Paris, édition Philippe Auzou, E5, 2005.

22. Roland Doran et Françoise Parot, **Dictionnaire de psychologie**, Paris, Larousse, Presses universitaire, PUF, E1, 1991.

23-Sillamy. N, **Dictionnaire de psychologie**, Paris, Larousse, Presses universitaire, E1, 1999.

ثالثا– توثيق المواقع الالكترونية

24- خيرة مسعودين، 2008، جنوح الاحداث، www.lemage.net).